مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 516-529

سيميائية الزمن المفقود عند "عبد الملك مرتاض" تقريب الرؤى والمفاهيم.

Semiotics of the Lost Time in "Abdul Malik Murtadh's" Work: Bridging the Gap between Perspectives and Concepts.

حلفاوي محمد[1]، زحاف الحبيب[2]

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، (الجزائر)،

mohamed.halfaoui@univ-mascara.dz

[2] جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، (الجزائر)،

habib.zehaf@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/11 تاريخ القبول: 2023/08/06 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص:

يحاول هذا المقال الوقوف على احدى الابتكارات النظرية التي اعتمدها "عبد الملك مرتاض" خلال اشتغاله على آلة الزمن النقدي، أو ما يسميه بالزمن المفقود، وكذا محاولة تقريبه من المناهج النقدية المعاصرة ذات المنشأ الغربي، ومن هنا تظهر جيدا نتوءات الدراسة، التي يشوبها الإبهام تارة، والوضوح تارة أخرى، بل يمكنها أن تكون جادة، بنتائجها الهامة التي تظهر عيوب النظريات النقدية الكبرى، وآلياتها التطبيقية، خصوصا حين نبشت في مقولة الزمن عند "جيرار جينيت"، وبالأخص في تقنية المدة إذ تكاد تقر بآلياتها الغير وافية، حيث يمكنها أن تتسع لعناصر أخرى، تساهم في تفكيك زمنية النص الأدبي وقد اعتمدنا على الوصف والتحليل، مستندين في ذلك على أدوات نقد النقد حتى ترضخ المفاهيم وتستقر الدراسة.

كلمات مفتاحية: الزمن المفقود، السيميائية، عبد الملك مرتاض،الوقفة الوصفية.

Abstract:

This article attempts to examine one of the theoretical innovations adopted by "Abdul Malik Murtadh" during his work

on the critical time machine, or what he calls the "lost time." It also tries to bridge the gap between this concept and contemporary Western critical approaches. The study has some ambiguous points but also offers important results that reveal the limitations of major critical theories and their practical mechanisms, especially when exploring the concept of time in "Gerard Genette's" work. This is particularly evident in the technique of duration, which is almost inadequate in analyzing other elements that contribute to deconstructing the literary text's temporality. The study relies on description and analysis, based on the tools of meta-criticism, to stabilize the concepts and settle the study.

Keywords: Lost Time, Semiotics, Murtadh, Descriptive Approach.

***المؤلف المرسل:** حلفاوي محمد

1.مقدمة:

لقد أثار مفهوم الزمن جدلا واسعا في صفوف النقاد والفلاسفة، لعقود طويلة، محط أنظار وتنظير غير منقطع النظير، تتقاسمه حقول معرفة وعلمية مختلفة. وبناء على هذا الوهج، وهذه الأهمية كان لزاما أن تناله الدراسات النقدية بحظ وافر من اهتماماتها، التي راحت تمجده و تبحث عن أوجه اتفاق بإمكانها توحيد المفاهيم والآليات التطبيقية لهذا العنصر ، ثم محاولة توجيه هذه النتائج نحو جادة الصواب النقدي، الذي يكون في مستوى تطلعات التراث العربي الضخم ذاك هو الأمل الذي تنشده جميع الدراسات النقدية العربية المعاصرة، بل حتى توطيد معالم جهاز مفاهيمي يستوعب هذا التراث الضخم، وقد كان الشكلانيون الروس أول من تناول الزمن بالدراسة والتحليل في عشرينيات القرن الماضي ثم تلت محاولات أخرى حاولت الالتفات إلى هذا العنصر الهام في

الخطاب الأدبي ، كالدراسات البنيوية للزمن عند "تودوروف " وغيره ولعل أهما : دراسات "جيرار جينيت" حول الزمن في رواية "مارسال بروست "البحث عن الزمن الضائع"، التي أسست لقواعد وأسس الدراسات الزمنية الحديثة.

إن دراسة البنية الزمنية للنص السردي، تقف حائرة أمام التذبذبات التي تطال أبنية الزمن داخل هذا الأخير، من حاضر ثم مستقبل وعودة إلى الزمن الماضي، وكيف يمكن الوقوف على تسلسل مستقيم لهذا الزمن، يحترم نقطة الانطلاق ثم نقطة العودة، ومن ذلك وفق "جيرار جينيت" في كبت جماح هذا الاختلاف بدراسة رائدة كانت محل اهتمام النقاد العرب عامة. وقد ظهرت على شاكلتها في الجزائر أعمال نقدية تناولت الزمن كمصطلح نقدي مثل أعمال عبد "الحميد بورايو" و "سعيد بوتاجين" وغيرهم ولعل أهم ناقد له باع في هذا المجال هو عبد المالك مرتاض، وماقدمه من دراسات، وما حاوله من تجديد وابتكار في هذا الصدد.

2. نموذج الاشتغال (إيضاحات نقدية):

النموذج المشتغل عليه تحت عنوان فرعي وسم "بالزمن المفقود"، يندرج ضمن مبحث الزمن في كتاب "ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي"، والزمن بالنسبة لعبد الملك مرتاض «اغتدى أعظم من ذلك شأنا ، وأخطر من ذلك ديدنا » (مرتاض ع.، في نظرية الرواية، 1998، صفحة 193)، بحيث لا يجب أن تغيب أهميته، أو تتماهى قيمته، نظرا للدور الكبير الذي يلعبه في اشتغال الآلة السردية، وهذه الأهمية جعلت "مرتاض" يتوغل في دراسته أكثر من مرة، وفي أكثرمن مبحث ، أما في محور دراستنا هذه فقد قدم ستة نماذج يبرر بها هذا النوع من الزمن الذي استخلص من عمليات الإغماء، ومثال ذلك: الصبايا الثلاث اللائي وقعن مغشيا عليهن أمام هارون الرشيد، وأمام جمال الشعر وعذوبته وحنان الصوت، فقد شقت الأولى ثيابها وسقطت مغشيا عليها، وكذلك الثانية شقت ثيابها

وصرخت ثم أغمي عليها، تليها الثالثة بنفس الحركة سقطت مغشيا عليها (مرتاض ع.، 1993، صفحة 173) ، فيسوق هذه الأحوال التي تتكرر عند الصبايا الثلاث، ثم يصرح في مقطع "الصبية مع التاجر" وجود وصف من شانه أن يوقف زمنية السرد ورغم ذلك لم يبين حدود المقطع الوصفي الذي سبق عملية الغيبوبة ونوعه، غير أنه يفهم من سياق الكلام أنه وصف لحدث .

وبما أنه وجد ستة نماذج إغماء في مسار السرد، فإن الناتج الزمني عن ذلك: هو "الزمن المفقود" بالنسبة إليه، لكن الإغماء أو الفترة التي غابت فيها الشخصية عن الوعي لا سرد فيها، حيث انتبه إلى وجود وصف وهو وصف الطريقة التي مكنت الصبية التاجر منها، ويكون الزمن هنا قد توقف أي المقصود به زمن السرد ، ولكن "مرتاض" في الزمن الأول لم يتحدث عن أي زمن يقصد فقبل الإغماء كان الدكان مفتوح مكظوظ، وبعد الإغماء كان الدكان مغلق، ولكن الذي شرح هذه العملية –حسب رأيه- هو الوصف لحادث الإغماء فالسارد «هنا سكت قصدا عن حدث بتره، فترك في نفس المتلقي كثيرا من الارتياب من أمر هذه السيدة التي أغمى عليها في الدكان» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 175)، ونحن هنا بحثنا في مصاف الدراسات النقدية للزمن ، ونبشنا عن مكان لهذا العنصر الجديد من باب التقرير، ولكن لم نستقر على وفاق معين بينه وبين النظريات التي أقرها أصحابها ، ففي بعض الأحيان نجد أنافسنا أمام وقف، وتارة أما حذف وهذا ما سنفكك شيفرته ، بإيضاحات مقارباتية قد تشفي الغليل، وتفي بالغرض النقدي.

1.2 تبريرات منهجية:

منذ البداية يؤكد عبد الملك مرتاض-في كتابه تحليل الخطاب السردي- نفوره من عدوى النظريات الغربية التي أدخلتنا فخ التقليد وسمومه، مع أولئك الذين يظنون أنه بالعودة إلى المناهج التراثية، فإننا ننافي أي تجديد في هذه

الدراسة، وهو بذلك ينشد منهجا شموليا كما يقول: «وأولى لنا أن ننشد منهجا شموليا ولا أقول منهجا تكامليا (إذ لم نر أتفه من هذه الرؤية المغالطة التي تزعم أن الناقد يمكن أن يتناول النص الأدبي بمذاهب نقدية مختلفة في آن واحد)» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 10).

وأمام فوضى المناهج وعدم وجود منهج نقدي واحد يقوى على استيعاب أرضية النص، وأمام التجربة الطويلة لعبد الملك مرتاض في حقل النقد، نظن أن هذه الدواعي جعلته ينشد هذا المنهج الشمولي الذي نادى به أكثر من مرة، وقد تزعم فكرة توضيحه وتأكيده "يوسف وغليسي"، وحين ينشد منهجا نقديا شموليا لا بأس أن ينهل من المناهج الغربية شرط عدم الاتكال عليها، والتوجه إلى تأسيس مدرسة نقدية «كما يدعو أيضا إلى الابتعاد عن المحاكاة لكل ما هو غربي وحداثي على حساب أسسنا النقدية الأصيلة والاعتراف بالمدرسة النقدية العربية الأصيلة» (حواجي، 2018، صفحة 120).غير أن إقرار منهج وعدم الالتزام به ينقص من ثمار المنتوج ويضعها أمام سبل الإبهام والغموض ، هذا المنهج الشمولي المصرح به دنى وتدلى إلى منهج مركب من سيميائي وتفكيكي صرح به عنوان الدراسة .

ومنهج الدراسة الذي تم الجمع فيه بين منهجين في دراسة واحدة يفضي بنا إلى أن: "زمن الإغماء" واستنطاقه وفق آليات هذه المناهج لا يصح منهجيا، وعدم الإقرار بالكيفية التي قارب بها هذا الزمن يضعنا وجها لوجه أمام غموض الدراسة، وأمام حتمية البحث عن البدائل، وسيتبين لنا من خلال سبر أغوار هذا الزمن أنه لا يرضخ للسيميائية التي تبحث في أنظمة التشفير والعلامات، ولا للمنهج التفكيكي المثير للجدل الذي يفكك النصوص ويشرحها يحثا عن المعنى متجاوزا الكاتب ، وأن محاول ترويض وتقويض المنهج ذو الأصول الغربية، وتطويعه ليتناسب وأسس الدراسة يبقى متخلفا عن ركب الدراسة ويظللها، وأن

تفكيكية الزمن لا تستقر آلياتها إلا من خلال تطبيق الإجراءات البنيوية التي تبدوا أقرب إلى استيعاب هذه الابتكارات.

ولا مناص من القول :أنه لا بأس باستلهام ذلك إذا كان يخدمنا ، ويخضع لتراثنا اللغوي الضخم ،لأننا قد نأخذ اليوم لنعطي غدا شريطة المحافظة على الركائز الأساسية لأدبنا ونقدنا و« أن نفيد من النظريات الغربية القائم الكثير منها على العلم، كما نفيد من التراثيات، ونهضم هذه مع تلك عجنا مكينا» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 12)، وهذا العجن المكين هو الذي جعله يتناول عنصر المدة "لجيرار جينات"، وضمن ذلك يعالج مستويات متنوعة منها ما تناوله "جيرار جينات" مثل الارتداد، ومنها ما لم يتناوله مثل غياب الدلالة الزمنية، ومظاهر الدلالة الزمنية، ومنها ما تناوله واجتهد فيه مغيرا مساره مثلما سنلاحظه مع ما وسمه بالزمن الميت أو زمن الغيبوبة أو الزمن المفقود في كتابه "ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد "، الذي لم نجد له تفسير منطقي غير تعبقه بعنصري الوصف والحذف .

2.2 تحليل سيميائي أم تحليل بنيوي؟:

رغم أم المؤسسة العنوانية، وما أقره مدخل المقدمة يفيد بتبني المنهج السيميائي والتفكيكي، نظرا لما يجده الباحث من الجمع بينهما لنصرة الدراسة التي ستقوى بهاذين المنهجين، فمنهج واحد –حسب رأيه -غير قادر على استيعاب الإجراءات البحثية وحل شيفرة النص، إلا أن الملاحظ في دراستنا هذه هو طغيان الإجراءات البنيوية في المعالجات النصية خصوصا ما تبناه "جيرار جينات" في محور الديمومة وسرعة قياس السرد الذي يوحي بتشبيه ذلك بالحذف، لأنه تنتفي عليه مسمى "الحابس" فهومن مسرعات السرد لا من موقفاته أو مبطئاته، لكن آليات التطبيق تفرض استحالة ذلك مع أن الوقفة يمكنها انتشال هذا السقوط وضمه إلى حضيرتها.

3.2 دلالات المصطلح وفلسفة العلامة:

نجد أن الدلالة الرئيسية هي: "زمن الغيبوبة"، إلا أننا ألفيناه يورد ثلاثة مصطلحات هي: زمن الغيبوبة، والزمن المفقود، أو الحابس مركزا على الدلالة الرئيسية وهي الزمن المفقود، ومدللين بقوله: «ويمكن أن نطلق على هذا الضرب من الزمن أيضا زمن الغيوبة أو الزمن الحابس، وربما يكون الزمن المفقود أكثر ملاءمة لهذه الحال» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 172)، وبالنظر في معاني هذه المصطلحات تجد مايلي:

الغيبوبة= الإغماء أو فقدان الوعي.

المفقود= هو الغير موجود لا يعلم عنه شيء.

الحابس = المانع أو الحاجز وربما يقصد أن الإغماء هو المانع لنمو وتطور السرد، فهو موقف للسرد.

والإغماء هو فقدان للوعي أو إغفاء لفترة من الزمن، يستيقظ بعدها الإنسان فلا يتذكر شيئا، ولكن الناقد لم يوضح الزمن المقصود بالتوقف زمن الحكاية، زمن القراءة، أم زمن الكتابة.

وهذه المصطلحات ليست دقيقة في عالم الزمن النقدي، فيها قليل من التشويه المصطلحي، إذ بعد التحقيق النقدي نجد أن هذه الإجراءات تبناها "جيرار جينيت"، لكن بمفهوم مغاير، فبحثنا عنها عند "مرتاض" فوجدناه يقر بذلك من خلال اشتغاله على مفاهيم التزامن والتعاقب والمدة، التي يمكنها تبني هذا المصطلح الزمني الجديد، وتسمى أيضا « (الديمومة): ونعني بها الفترة الزمنية التي يستغرقها الراوي في سرد أحداث روايته، فمدة الرواية الخطية مرتبطة بسرعة الحكاية كما أن سرعة الحكاية تقاس بقيمة حجم النص المكتوب وفق الزمن الذي استغرقه الحدث» (سبيعي، 2014، صفحة 131) وتحت هذه التقنية نجد

أربع عناصر هي: الوقفة ، والمشهد ،الخلاصة والحذف ،وهي العناصر التي سنقارنها مع هذا المصطلح المرتاضي ونستنبط قرينة المشابهة بينهما .

وبالعودة إلى دلالات هذا المصطلح يمكن القول أن: هناك فجوة أو طي للأحداث تسببت فيها عملية الإغماء، والدلالة التي تنشد هنا هي تأثره بفلسفة الزمن المفقود أو الضائع عند "مارسيل بروست" لكنه لا يكتفي بدلالة واحدة.

4.2 زمن وقفة وصفية أم زمن غيبوبة؟ :

فإذا فرضنا جدلا تبني "الزمن الحابس"؛ نكون أمام ما يعادل الوقفة الوصفية، وإذا سلمنا زعما "بالزمن المفقود "؛ نكون مع ما يوافق "الحذف" ، -كما بينا آنفا - لكنه يعترف في نهاية الدراسة بتوقف الزمن عن السيرورة :«إذن فقد توقف زمن ما، لم نعرفه (وحتى حال تسليمنا بعدم حدوث أي شيء للصبية في هذا الدكان المريب أثناء غيبوبتها ، فإن الغيبوبة التي أصابت الصبية ظلت زمنها مفقودا)» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 176) ، ومع تأكيده على توقف الزمن، سيفضي ذلك إلى الوقفة الوصفية.

3. مسار الاشتغال وتقريب الرؤى والمفاهيم:

1.3 إيضاحات:

إن متبنى الوقفة الوصفية عند مرتاض في دراساته كلها، لا يجعلنا نقف معه على ساحل نظري مؤكد، فهو إما يناقض نفسه، و إما يقدم موقفا ثم يتراجع عنه مرة أخرى؛ ففي كتابه "في نظرية الرواية " مثلا يؤكد أنه يختلف مع «جيرارجينات (gerrard genette)، وتودوروف (T.Todorov)، وبوالو Nicolas Poileau( )، أيضا حول مسألة «التعليق » الذي ألحق بالوصف ووصم به وصما؛ إذ نعد نحن ، الوصف غير مسؤول عما يحدث لتباطؤ جريان الحدث ، وتراخي انسياب السرد لدى تعرضه لهذا الوصف» (مرتاض ع.، في نظرية الرواية، 1998، صفحة 258)، الذي يعد مساهم آخر في بناء العملية السردية،

وفي تطور مجرى الأحداث ويضرب لذلك مثالا: وصف الجو ممطر ، فيجد من خلال تفكيك مقطع الوصف أنه ساهم في العملية السردية وفي نقل الحدث وتطور مجراه، فحين يصف يخبر المتلقي، ويسرد عليه ما حدث دون أن يشعر، وبالتالي لم يتوقف مجرى الزمن ولم يتعلق من خلال حضور الحدث، وبذلك ينفي مسؤولية تباطؤ الزمن عن الوصف.

وحسب رأينا وحسب ما دعمنا به فإن عبد الملك مرتاض لم يقف على موقف دقيق، يتراوح بين تأكيد الوقفة ونفيها مدعمين ذلك بشواهد فهذا الباحث "مصطفى بوجملين"، يقف على ذلك ويقول:«أما الشاهد النصي الآخر –الذي نجعله دعامة لرؤيتنا-فإنه يتأتى في مقولة الناقد عينه؛ والتي وقفنا عندها في كتابه (تحليل الخطاب السردي)؛ إذ أوضح أن الوصف معرقل للحدث –بل مفسدا إياه بتعبيره-ونص قوله الآتي:(علاقة الوصف بالسرد كثيرا ما تكون مزعجة له ثانية من مساره معرقلة لنمائه؛ بل مفسدة، أطوارا، لبنائه، إذ كلما تدخل الوصف، توقف السرد، وتوارى الحدث إلى الوراء» (بوجملين، 2016/2015، صفحة 177)،وهذا ما يمكننا ربطه مع جوهر الدراسة، فالوصف يمكنه أن يحقق التعليق أو الوقف، بل إن الإغماء هو الذي يمكنه اللعب على وتر إيقاف الزمن السردي، أما الحذف ولو فرضنا مشابهة بينه وبين زمن الإغماء فإنه من مسرعات السرد بينما الإغماء من موقفاته.

وبذلك نجد أن "عبد الملك مرتاض"، لا يخضع لتلك المفاهيم الزمنية ذات المنشأ الغربي بل وجدناه يتمرد بإيجاد أطر جديدة.

وغريب الوقف هنا لا ننشد به نقل إجراءات تبني الوصف عند "عبد الملك مرتاض" ولكن نتحدث عنه من باب تقريب زاوية الرؤية أو تصحيح مساره إذا أمكن، حتى تقر المفاهيم بذلك، فالجمع بين تقنيتين متضادتين صعب المراس، لأن تلاقيهما يفضي بنا إلى النتيجة الآتية:

وقفة وصفية +زمن حابس= تضاد

وقف+ سرعة = قفز على أحداث

لكنه يبقى غريب في إيراد مصطلحاته فإن «النتيجة واحدة حيث تنتهي الشخصية تحت تأثير جمال الشعر وعذوبة الموسيقى إلى فقدان الوعي زمنا يظل غير محدد بالقياس إلى السارد والشخصية والمتلقي جميعا» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 173)، بل يعدها حلقة مفقودة في زمن الشخصية والسؤال ما هو زمن الشخصية؟ أم أنه يقصد علاقة الشخصية بالزمن لأن الذي توقف هو زمن الأحدث أو زمن السرد حين فقدان الوعي، وبمحاكاة ذلك يقترن زمن الوقفة الوصفية بالزمن المغمى عنه، فبدلا من الالتزام بمصطلح الزمن المفقود، دخل في تسمية أخرى هي الزمن المغمى عليه الذي يمكن أن يوازي الزمن الحابس، يفهم أنه كان قد خطر على باله من حالات الإغماء التي توالت على الصبايا الثلاث، «مع أنها كانت ذكرت في وصف الكيفية التي أمكنت التاجر منها» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 175). فالعملية سبقها وصف تخلل العملية السردية قبل أن يفقد الزمن أو يغمى عليه، «فهذا الوصف بين لنا أن الدكان كان مفتوحا، وكان على بابه كظيظ شديد، وازدحام كثيف» (مرتاض ع.، 1993، صفحة 175).

والسؤال لماذا غيب الوقفة الوصفية، رغم أن الزمن الحابس والمفقود يدل عليها وما هي الاحتياطات المنهجية المستخدمة في ذلك، وما علاقة الإغماء بالزمن السردي، بدل أن يطرح أسئلته حول ما شأن هذا الزمن؟ وما خطبه؟ وقد تنبع الأحداث وتتسارع حين الإغماء فيقلع ركب السرد، وأن موقفات زمن السرد هي "الوقفة" و"المشهد" حسب منظور "جيرار جينات" غير أن التحليل النقدي للوقفة الذي ساقه مرتاض يبدو غريبا ومبهما بعض الشيء، يفتقد إلى الرصانة والدلالة، وهي بذلك تفرض نفسها لوجود ما يدل عليها وهو الوصف. فالمقاطع الست التي ساقها في إطار الزمن المفقود أو توقيف مساره في إطار مقاربة غير

واضحة المعالم حاول أن يفهم حدث الإغماء وأن هذه الفترة وقف للسرد، لكن أقر دون اعتراف منه أن الذي أوقف السرد هو الوصف.

التوقف=زمن الغيبوبة =حدث إغماء الشخصية.

فالزمن الذي توقف هو زمن وقفة وصفية سبقته ، وليس زمن أحداث مبتورة لا نعلم عنها شيئا أو ثغرة زمنية، وهنا تسريع للسرد والمحذوف هو سرد ، وإذا سلمنا جزما بمنطق "عبد الملك مرتاض" ما كل السرود تحتوي على الإغماءات، والا كان مفروضا إيراد إغماءات مصاحبة للشخصيات حتى يتم، دراسة التوقف الزمني أو الزمن المفقود وبالتالي فالناقد لم يكن دقيقا فيما أورد ، وحتى وإن كان مرد ذلك إلى الحذف الضمني على اعتبار أن فترة الإغماءات لا نعرف عنها شيئا ، فإن الحذف لا يمكن تسميته بالزمن الحابس لأنه يساهم في تسريع وتيرة السرد ، ومهما يكن فإن العملية سبقها وصف للعملية لكن تغييب للأحداث فعندما استفاقت رغم أن الحذف الضمني تدل عليه عبارات ، بعد أيام ، بعد زمن ، والحذف نقيض الوقفة الوصفية في تسريع عملية السرد، وخرق لنظام المناهج المستلهمة، وربما يكون تفسيرا للحملة النقدية التي تعرض لها الكتاب، وكذا مبحث الوصف عامة في كل كتبه .

2.3 فائدة نقدية:

يكون "عبد الملك مرتاض" بإيجاده لهذه الأزمنة قد بين نسبية نظرية الديمومة، وعدم قدرتها، على استيعاب كل أزمنة السرد، بل هي مباركة صريحة منه على أنه لا شيء كامل في عالم النقد، بل يمكننا خلق إضافات جديدة إلى تقنيات القياس الزمني، بعدما كان "جيرار جينات" قد ابتكر تقنيات الإيقاع الزمني أو ما يسمى بمحور الديمومة ، وباركه في ذلك الكثير من النقاد ، وأنجزت على إثرها الكثير من الدراسات والأبحاث مواكبة وتيرتها ولا تنحاز عنها، فهل يمكن إضافة هذا العنصر إلى تلك التقنيات، ثم إن تقنيات الإيقاع السردي لا يمكن أن

تنحصر فقط في المشهد والاستراحة والحذف والخلاصة ، بل يمكن أن تخرج علينا دراسات أخرى بتقنيات أخرى ، ولكن مثل هذه الابتكارات الجادة جعلت الأحكام النقدية تتهاطل على "عبد الملك مرتاض" مثل الحكم النقدي الذي صرحت به نجوى الرياحي القسنطيني بقولها : «إلا أننا لا ندري بماذا نفسر التناقض والغموض الذين غلبا على مبحث الوصف عند مرتاض على قصره، إلا بان الرجل لا يصدر عن خلفية نظرية خاصة بالوصف» (القسنطيني، 2008، صفحة 175)، و"عبد الملك مرتاض"، عرف بمثل هذه الخرجات والابتكارات النقدية معروف بها عبد الملك مرتاض وليست بالجديدة مثلما أوجد الزمن الليلي ودل عليه بقوله:

«فإننا لم نتوقف إلا عند الأحداث التي تجري تحت جنح الظلام أو تحت ضياء المصابيح» (مرتاض ع.، تحليل الخطاب السردي، 1995، صفحة 235)، والتي وردت في كتابه محل الدراسة وثبتها أيضا بقوله:

«وقد فككنا هذه المجازات لزمنية الليلية في النص فألفيناها لا تقل عن ثلاث وثلاثين حالا موزعة على ثلاث وثلاثين صفحة» (مرتاض ع.، تحليل الخطاب السردي، 1995، صفحة 235)، ومنها أيضا زمن المخاض السردي ويطلقه على «تلك اللحظة المضببة التي تشبه تلك التي تحاكي المخاض الفكري» (مرتاض ع.، في نظرية الرواية، 1998، صفحة 180)، أو هو اللحظة المخاضية التي تسبق زمن الكتابة، ولا يمكن لأي كتابة أن تخرج إلى العلن دون زمن المخاض، وهو العنصر الزمني الذي تبنى عليه الأزمنة اللاحقة، وبذلك يختلف مع "تودوروف" حين يضيف زمن ما قبل الكتابة. ولا رقى إلى زمن كامل فقط هي اجتهادات تجد طريقها إلى الصواب تارة، وإلى الغموض تارة أخرى ما ينقصها التأييد النقدي الذي يقف على جزيئاتها موضحا عورها وصوابها.

4. خاتمة

يغلب على دراسات عبد الملك مرتاض الغموض في بعض المباحث كونه لا يؤمن بالمنهج الأحادي القادر على لم شمل المقاربة النقدية، مما جعله يمارس النقد والتقويم، ولن تكون تلك الابتكارات إلا نتائج مقدرة وتحصيل حاصل لهذا التوجه.

ونافلة القول أن الدكتور "عبد الملك مرتاض" أغنى الساحة الأدبية الجزائري بدراسات نقدية جد هامة، وإن كانت بعض الابتكارات النقدية لم تلق مكانها في الحضيرة البحثية، أو صلاحيتها في عملية تطويع النصوص وسبر أغوارها أو لم تأت على مقاسها، فلأن التراث العربي الضخم أكبر من أن تشمله نظرية أو منهج نقدي، ودراسة عبد الملك مرتاض للزمن السردي في المدونة محل الدراسة، كانت محفوفة بالمخاطر بعض الشيء ، صنعتها تلك الابتكارات التي لا تستند على أطر محكمة، خصوصا في دراسته للزمن المفقود الذي تخطى الوقفة الوصفة ،والمشهد ، المشهود لهما بوقف الآلة السردية ،ويصح وسمهما بالزمن الحابس ، ثم إنه لم يقف له على رصيف رصين يخرج عليه باستنتاجات قيمة وكان عليه أن يتكئ على هذه الوقفة لتبيان عملية إيقاف أو إبطاء الزمن السردي ،أو على الحذف لتبيان ذلك.

وربما يكون ذلك سناء من الغاية المنشودة التي يبحث عنها نقادنا من خلال وضع منهج عربي خالص يقوى على استقراء ونقد لنصوصنا وتراثنا اللغوي الضخم وربما أفادت تلك الابتكارات لتجمع يوما في قالب نظري يصلح لمقاربة نصوصنا.

5. قائمة المراجع:

حكيمة سبيعي. (2014). *خطاب الرواية عند أحلام مستغانمي*. الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع.

عبد الملك مرتاض. (1995). *معالجة سيميائية تفكيكية،مركبةلرواية "زقاق المدق"*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

عبد الملك مرتاض. (1998). *في نظرية الرواية* (المجلد دط). الكويت: طبع عالم المعرفة.

عبدالملك مرتاض. (1993). *ألف ليلة و ليلة تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

نجوى الرياحي القسنطيني. (2008.). *في نظرية الوصف الروائي*. بيروت ، لبنان.: ديوان المطبوعات الجامعية.

مصطفى بوجملين. (2016/2015). *المصطلح السردي في الخطاب النقدي عند عبد الملكرتاض* (المجلد غير منشورة). جامعة قاصدي مرباح ورقلة: أطروحة دكتوراه.

جلول حواجي. (عدد 4، 2018). الرؤى النقدية عند عبد الملك مرتاض،قراءة في كتابه "في نظرية النقد". *مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب*.